المشرق

المقتطف ومذهب النشوء والعلماء اليسوعيّون

نبذة انتقادية للاب لويس شيخو اليسوعي

اراد صاحب مجلّة المقتطف ان يرشقنا بسهمنا فزعم ان مجلّة المشرق ارتأت انّ الكنيسة الكاثوليكيّة تنكر مذهب النشوء المعروف بمذهب درون انكارًا تامًّا وتكفّر معتقديهِ وان اليسوعيين كلهم يقولون قولها . فوضع في ابريل ١٩٢٦ (ص ٤١٤ــ٤١٥) مقالةً صغيرة تحت عنوان « مذهب النشوء والعلماء اليسوعيّون » نقل فيها اقوال بعض علماء الكاثوليك وبينهم يسوعيّان الذين على زعمهِ يناقضون رأينا فنقول :

﴿اوّلًا﴾ انّ صاحب المقتطف بنبذتهِ المذكورة عاد بلا داعٍ الى ذكر ما لا علاقة لهُ مع مسألة النشوء والدروينيّة فذكر الابوَين (لا الاخوَين كما قال) جيرارد (Gérard) وهول (Hull) وما قالاهُ عن حكم المجمع المقدّس في امر غليليو الفلكيّ . وقد عالجنا سابقاً هذا الموضوع في المشرق ٩ [١٩٠٦] : ١٧٨ــ١٨٥) وبيّنّا ان الكنيسة ما كانت لتحكم على غليلاي في قولهِ عن دوران الارض حول الشمس كما لم تحكم على الكاهن كوبرنيك والعلّامة جان ثرمشتاد لولا ما حاولهُ غليلاي من شرح الكتاب المقدّس وهو رجل عالمي لا يعنيهِ ذلك فبرز عليهِ الحكم لعنادهِ خصوصاً

﴿ثانياً﴾ كان من الواجب على مجلّة المقتطف ان تذكر كلام مجلّة المشرق بحرفهِ قبل ان تنسب الينا تكفير الذين لم يرتأوا رأينا . فانّ مجلة المشرق لم تكفّر إلّا رأي

المتطرّفين من الدروينيّين الذين ينكرون وجود الخالق ويجعلون الكائنات ازليّة كهيكل الالماني وشيعته من الدهريين. امّا مذهب المعتدلين من الدروينيّين المعتقدين وجود الله وتكوين المخلوقات وتدبيرها بعنايته في تسلسلها وتطوّر انواعها من تلقاء ذاتها فانّ مجلّة المشرق لم تكفّره وانّما فنّدته تفنيداً علمياً في عدّة مقالات لحضرة الاب اسكندر طوران (المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٦٠٠ و٦٥٩ و٧٣٩ و٨١٤ و٩٠٨) ولم تحاول مجلّة المقتطف الردّ على ادلّة حضرة الكاتب وبراهينه ودونك ما كتبه الاب المذكور (١٩ ص ٩١٠) في مذهب الدروينيّين المعتدلين :

« اما رأي الدروينيين المعتقدين وجود الخالق والقائلين بتطوّر الانواع في الحيوان والنبات لفهم ان ذلك يبيّن على وجه افضل ترقي الكائنات وتسلسلها بعد خروجها اوّلاً من يد الخالق فانّ ذلك ينفي اضاليل الملاديين ولكنهُ ايضاً زعمٌ وتخمين يردّ الاختبارُ معظم ما يتشبّث بهِ هؤلاء من الادلة وهم يفترضون عدّة افتراضات ويعتبرونها كحقائق علميّة راهنة دون ان يثبتوها بالواقع. وهذا بناقي الاساليب العلمية . . . »

فنرى انّ هذا الكلام بعيد عن التكفير فان اتى العلماء الاثبات بالادلّة لبيان رأيهم رضخنا لهُ بطيب الخاطر . اذ ليس مناقضة بين العلم والدين. وهيهات ان يتّفق العلماء على هذا الرأي

﴿ثالثاً﴾ ان ما ذكرهُ عن حضرة الاب وسبان اليسوعي الطبيعي الشهير هو من قبَل الاعتدال. ومن المعلوم انّهُ كشف مع عدّة علماء خداعَ هيكل في تصويره لأجنّة حيوانات زعم انها للبشر بتزوير فاحش وكانت مجلّة المقتطف وقتئذٍ حاولت الدفاع عنهُ فافحمناها (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٢٣٨ و٣٩٨ و٩١٩). ومثل هذا قولنا عن الاب (لا الاخ) همرستين اليسوعي وعن القانوني دورلودوت (Henry de Dorlodot) وليس هو يسوعيًّا. وفي سماح الرؤساء بطبع كتب هؤلاء دليل واضح على سَعَة افكار الكنيسة الكاثوليكية ونيّتها بأنّها لا تعيق العلماء في ابحاثهم وإن لم تُفتِ بصحّة اقوالهم او نَفيها بتاتاً

﴿رابعاً﴾ وبهذه النسبة كنّا وددنا لو انكرت مجلّة المقتطف كثيرًا من مزاعمها السابقة المُشعرة بمذهب الملاديين والمناقضة لمذهب الدروينيّين المعتدلين. فكم قالت بمادّيّة العقل فجعلتهُ مجموع افعال الدماغ والاعصاب (المشرق ١ [١٨٩٨] : ١٠٠٩ —

١٠١٥) وزعمت «انَّ الضمير جراثيم تظهر في الطفل بعد ولادته» (المشرق ٢ [١٨٩٩]: ٩٩٣ــ٩٩٦) وانَّ الضمير يوزَن كالاثقال (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٩٥٦) . ولمَّا ردَّت مجلَّتنا على درويئيَّة المقتطف لم تفند درويئيَّة معتدلة كالتي يقول بها بعض الكاثوليك بل درويئيَّة متطرِّفة (راجع المشرق ٣ [١٩٠٠] : ١٣٩ و٥٥٣ــ٥٧٤) كما انَّها زيَّفت اقوال المقتطف في التوليد الذاتي (المشرق ١٧ [١٩١٤]: ٤٥٨ــ٥٥٠)

﴿خامساً﴾ ان العلماء الكاثوليكيين دون اختلاف البتَّة حتى القائلين بالدرويئيَّة المعتدلة يتَّفقون على انَّ الله وحده يخلق النفس البشريَّة ويجعلها في الجسم المُعدّ لها سواء قيل إنَّ الجسم البشري تطوَّر من المواليد السابقة كالنبات والحيوان ام انَّ الله خلقهُ رأساً وانَّ هذه النفس مجرَّدةٌ عن الهيولي روحيَّة خالدة كما بيَّنهُ حضرة الاب انطون صالحاني في ردوده على المقتطف في مقالاته المشتعة «قبل الولادة وبعد الموت» (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ١ و١٠١٥ ثم ١٠ [١٩٠٧] : ٣٦٤)

﴿سادساً﴾ ويحسن بنا مع ذلك بان نقول ان الكنيسة الكاثوليكيَّة وان لم تكفِّر الدرويئيَّة المعتدلة إلَّا انَّ اللجنة البابويَّة المقامة لمراقبة الدروس الكتابيَّة في ٣٠ من حزيران سنة ١٩٠٩ وضعت عدَّة فتاوى في فصول كتاب التكوين العشرة الاولى وشرحها شرحاً تاريخيًّا تدلُّ على انَّها لا ترى في هذه الفصول تأييداً للمذهب الدرويني المعتدل وان لم تكفِّرهُ وهناك خبر تكوين الله عزَّ وجلَّ لجسد آدم من التراب ما لم يُقَلْ ان ذلك ورد مجازاً لا حقيقةً فعلينا اذن ان ننتظر ريثما يثبت لنا العلماء ببراهين قاطعة مدَّعى الدرويئيين في تطوُّر الجسم البشري من النبات الى الحيوان الى الانسان فتحكم به الكنيسة حكماً فصلاً . وكلّ آتٍ لصاحبه قريب

وخلاصة القول انَّهُ لا بُدَّ من اعتقاد وجود الخالق وتكوينهِ للكائنات مباشرةً وخلقهِ النفس البشريَّة تراً دون وسيط . اما تكوين الجسد أكان بفعلهِ تعالى رأساً كما يلوح من كلام سفر التكوين وتفسير الآباء ام كان بتهيئتهِ لمادَّة تتسلسل وتترقى بقوَّة فعلهِ تعالى السابق حتى اذا بلغت قبولها للنفس البشريَّة في بعض الحيوانات اوجدها الله بهِ فتلك مسألة لم تحدّدها الكنيسة بعد وان كانت اظهرت لجنتُها انَّها تفهم آيات سفر التكوين بخصوص خلق الله للجسد في معناها الحقيقي لا المجازي